

في التنظيم الثوري السري

العثمانيون عن اللغة العربية لجهة اللغة التركية التي أصبحت اللغة الرسمية للبلاد، بينما كانوا هم الأقلية عدداً بالنسبة للعرب. ٤- التجربة العثمانية التي استمرت أربعة قرون وانتهت بانفصال العرب عن الأتراك تضع البرهان على أن الدين وحده لم يكن الجامع الوحيد... والحضارة لا تلغي الخصوصية التي تتمتع بها الأقليات القومية والدينية^(٨٩).

لا يفوتنا الانتباه لليقظة القومية الحديثة، التي ربما، لخصها الشاعر اليازجي بالقول (تبهوا واستفيقوا أيها العرب... لقد طغى الخطب حتى غاصت الركب).

لو شاءت الأطروحة التكتيف:

كان لسلسلة التمردات والاحتجاجات الفلسطينية، التي بلغت ذروتها في المحاولة الاستقلالية لظاهر العمر، توجهات ومضامين سجلها التاريخ، أما اليقظة الوطنية التي تزامنت مع أوائل القرن التاسع عشر فإنما تندرج في إطار اليقظة القومية العربية، التي ابتدأت يقظة قومية ثقافية مناهضة للتتريك. وثمة رأي مفاده أن مشروع محمد علي قد أذكى التطلعات القومية والتمرد على الأتراك، مثلما أذكت حركة ظاهر العمر التطلعات الاستقلالية الفلسطينية وتحدي الباب العالي. الشيء الذي لاحظناه أيضاً في اندفاع الحركة السنوسية في تونس والقادرية في الجزائر رداً على الاحتلال الفرنسي.

لا تسعى الأطروحة للغوص في الجدل الدائر حول النظرية القومية. ولكن لا ينبغي اغفال أن الثورتين الأمريكية ١٧٧٦م والفرنسية ١٧٨٩م قد أكدت على الهوية القومية، وسلطة العقل الأولى في بعدها الاستقلالي عن بريطانيا والثانية في بعدها الاجتماعي وولادة دولة قومية بديلة للإمارات ونقض الملكية الارستقراطية، والمرجعية الدينية وبالتالي اكتسحت الفكرة القومية أوروبا في القرن التاسع عشر لتزحف إلى آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية في القرن العشرين، الأمر الذي نهضت في بداياته التطلعات القومية العربية، كل ذلك تلا عصر الحضارات الدينية، حيث كان المنظور الديني الممزوج بالسياسة هو العامل المحرك والقائد في الممالك الأوروبية والإمبراطورية العثمانية وما سبقهما.

(ولئن عرّف الأكاديمي الإيطالي ماتشيني في محاضراته (الأمة) في أواسط القرن التاسع عشر القومية بـ (المجتمع الطبيعي الذي يرتبط بوحدة الأرض والأصل والعادات واللغة جراء الحياة

(٨٩) د. الحوت، بيان. مرجع سابق. ص ١٣٢